فريق تفريغ المهندس
علاء حامد

تلخيص تدبر سورة مريم (3)

م. علاء حامد

ALAA HAMED

تلخيص المحاضرة الثالثة
تدبر الآيات من (24-33)

الآية : 24 ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾

- نبدأ اليوم بطولة جديدة، وهي بطولة عيسى عليه السلام، مع استمرار الحديث عن بطولة مريم عليها السلام.

- لقد اشتد ابتلاء مريم حتى ألجأها المخاض إلى جذع النخلة، واجتمع عليها ألم الجسد، وشدة الكرب، وخوف الفتنة في دينها، مع توقعها أن تُتهم ظلمًا؛ فبلغ بها البلاء مبلغًا عظيمًا، فتمنت لو أنها ماتت قبل ذلك اليوم.

- **سنن الله مع المؤمنين**

- **يبتليهم لحكمة، ثم يأتي الفرج في الوقت الذي يقدره سبحانه، فينجي عباده المؤمنين في كل مرة.**
- **إذا بلغ البلاء غايته، ووصل المؤمن إلى أقصى ما يحتمل، جاءه فرج الله ونصره، كما قال تعالى:** ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤)

- فالابتلاء له حكمة، فإذا تحققت الغاية التي أرادها الله من عبده، جاء الفرج في الوقت الذي يقدره سبحانه.

رسالة لكل مبتلى: فليرَ الله منك خيرًا. فقل: يا رب، لقد فهمت الرسالة.

- وليرَ الله منك البكاء، والدعاء، والتضرع، والمسكنة، والافتقار إليه، واليأس من النفس، واليأس من الأسباب، واليأس من الناس وكمال التوكل عليه

- **فهم رسالة الابتلاء**

أصحاب الجنة لما احترقت جنتهم ماذا كان موقفهم؟

قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ (٣٠) قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ (٣٢)﴾ (القلم)

- فهموا الرسالة، ورأى الله منهم خيرًا؛ ولذلك كانوا يرجون أن يرفع الله عنهم البلاء ويبدلهم خيرًا.

- استمر ابتلاء مريم عليها السلام، وهي العابدة الصالحة، حتى بلغ الغاية التي أرادها الله سبحانه. أما وقت الفرج فليس إلى العبد، وإنما عليه أن يحسن الظن بربه، ويوقن أن الله يمده بالعون في الوقت الذي يقدره.

- فقد يظن العبد أنه بلغ نهاية طاقته؛ ثم يفاجئه الله بمدد من عنده، فيواصل الصبر، والدعاء، والعبادة، والثبات.

◆ من أعظم الدروس في قصة مريم عليها السلام أن العون الإلهي يأتي بعد التوكل والأخذ بالأسباب، لا قبل ذلك. فلا ينتظر الإنسان المدد وهو واقف مكانه، بل يبدأ مستعينًا بالله، فيفتح الله له أبواب التوفيق ويثبته.

- ولهذا كان الفرج في قصة مريم بعد أن بلغت غاية الابتلاء، فقالت: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ فما إن اكتملت الحكمة من الابتلاء حتى جاء الفرج مباشرة: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾

- فجاءها الفرج سريعًا، وفي اللحظة التي كانت أحوج ما تكون إليه.

- الفرج يأتي من حيث لا يحتسب الإنسان، وهكذا جاء الفرج لمريم عليها السلام، وقد يأتيك الفرج بكلمة تسمعها، أو درس يحرك قلبك، أو موقف يثبتك.

- ومن ذلك ما وقع للإمام أحمد رحمه الله في فتنة القول بخلق القرآن؛ إذ كان ذاهبًا إلى الخليفة وهو يخشى التعذيب.

- فهيأ الله له رجلًا كان مشهورًا بشرب الخمر، وكثرةِ ما جُلِد بسبب ذلك فقال له:

" يا إمام، اثبت؛ فإني جُلدت في معصية، وإنما هي ضربات يسيرة، ثم يهون الأمر".

- فكانت هذه الكلمات سببًا في تثبيت الإمام أحمد رحمه الله.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾

- من الذي ناداها؟

القولان في تفسير قوله تعالى :

القول الأول: أن المنادي هو جبريل عليه السلام.

ودليله : استدل أصحاب هذا القول بأن مريم عليها السلام كانت في موضع مرتفع لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ أي مكان عالٍ، وعلى ذلك كان جبريل عليه السلام أسفلها فناداها من تحتها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ وهو قول لابن عباس.

القول الثاني: أن المنادي هو عيسى عليه السلام

وهو الأقرب.

ودليله : حيث كلَّم أمه مباشرةً عند الولادة، فقال: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾

◆ **كيفية التعامل مع اختلاف الأقوال**

اختلاف المفسرين نوعان:

1- اختلاف تنوع :

- **وهو اختلاف لا تعارض فيه، بل تتكامل المعاني، مثل تفسير قوله تعالى:**

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

- الإسلام، أو القرآن، أو الهداية، فكلها معانٍ متقاربة تدخل في المقصود.

- منهج التعامل مع اختلاف التنوع: لا يُصار فيه إلى الترجيح، وتُحمل الآية على جميع المعاني المحتملة إذا كانت صحيحة ولا تعارض بينها، ويُنظر إلى الأقوال باعتبارها تكمّل المعنى لا تنفي بعضها.

2- اختلاف تضاد :

- **وهو ما لا يمكن الجمع فيه، كمسألتنا هنا: فيصعب الجمع بين كون المنادي عيسى عليه السلام وكونه جبريل عليه السلام ولا يمكن أن يكونا معًا، وأحد القولين ينفي الآخر.**

- في هذه الحالة يُصار إلى الترجيح بالنظر في الأدلة.

- منهج التعامل مع اختلاف التضاد: لا يمكن الجمع بين الأقوال، ويُلجأ إلى الترجيح.

◆ **الترجيح في المسألة:**

يكون الترجيح بناءً على:

- قوة الدليل، وسياق الآيات، وأقوال السلف، والاعتماد على السياق القرآني فهم الآية في ضوء ما قبلها وما بعدها.
- اختلفت أقوال السلف في تحديد المنادي، وذهب بعضهم إلى جبريل، وآخرون إلى عيسى، وكلاهما مروي عن بعض أهل العلم، ويرجح بعض المفسرين أن القول الثاني أقرب، مع بقاء المسألة اجتهادية تعتمد على أصول التفسير لا على الرأي المجرد.

◆ أهمية أصول التفسير:

- التفسير علم له قواعد وضوابط، وليس قائمًا على الذوق أو الاستحسان. ومن أراد التوسع في هذه الأصول فليراجع ما كُتب في مناهج فهم القرآن، ثم ينتقل إلى التفسير التطبيقي لتتضح طريقة العمل بها عمليًا.

◆ قاعدة مهمة في الترجيح:

- قاعدة توحيد الضمائر أولى من تفريقها؛ الأصل حمل الضمير في السياق الواحد على مرجع واحد، فلا يُفَرَّق بين الضمائر إلا بدليل، لأن ذلك يحقق ترابط المعنى واتساق السياق.
- هذه القاعدة تساعد في ضبط فهم السياق ومنع التعدد غير المبرر في المرجع.

- وكل الضمائر في هذا السياق تعود على القول الراجح إلى عيسى عليه السلام. لأن هذه هي محل الاستدلال، وليست محل اتفاق بين جميع المفسرين.

◆ أبرز الأصول التفسيرية:

1- **قاعدة توحيد الضمائر أولى من تفريقها:** الأصل أن يُحمل الضمير في السياق الواحد على مرجع واحد ما دام ذلك ممكنًا، لأن ذلك يحقق اتساق المعنى. ولا يُنتقل إلى تعدد المرجع إلا بدليل.

- مثال: في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾

فالضمير في ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥ﴾ يعود إلى عيسى عليه السلام، ثم تتابع الضمائر: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾، ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ كلها راجعة إليه، مما يقوّي توحيد المرجع في السياق.

2- **الاعتماد على السياق في الترجيح:** يُفهم معنى الآية من خلال ما قبلها وما بعدها، لأن السياق قرينة قوية في تحديد المعنى.

- مثال: فهم قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ في ضوء سياق قصة مريم وما قبلها وما بعدها، مما يساعد في ترجيح أحد الأقوال.

3- التفريق بين اختلاف التنوع والتضاد:

التنوع: أقوال يمكن جمعها ولا تتعارض.

التضاد: أقوال متعارضة يلزم ترجيح أحدها.

- مثال التنوع: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾

- قيل: نهر صغير، وقيل: عيسى عليه السلام. ويمكن الجمع بينهما لعدم التعارض.

4- الجمع بين الأقوال عند عدم التعارض: فإذا أمكن حمل الآية على أكثر من معنى صحيح دون تناقض، جاز الجمع بينها.

- مثال: جعل السري نهرًا تحت مريم، وفي الوقت نفسه جعل عيسى عليه السلام تحتها، فلا تعارض بين المعنيين.

5- الترجيح بالأظهر لا بإبطال الأقوال الأخرى:

- القول الراجح يوصف بأنه الأظهر، أي أقرب للسياق، دون إبطال الاحتمالات الأخرى إذا كانت صحيحة من حيث الإمكان.

- مثال: ترجيح أن السري هو النهر الصغير لأنه أوفق بالسياق، مع بقاء احتمال كونه عيسى عليه السلام.

6- مراعاة ظاهر اللفظ وعدم التكلف: الأصل حمل الآية على ظاهرها دون تقدير زائد إلا بدليل.

- مثال: قيل في ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ إن جبريل كان أسفل الربوة، لكن هذا يحتاج إلى تقدير إضافي، بينما حمله على ظاهر القرب المكاني لعيسى عليه السلام أقرب.

7- الاستدلال بأقوال السلف في الترجيح:

الرجوع إلى ما ورد عن الصحابة والتابعين من أهم أدوات الترجيح.

- مثال: ورود قول عن ابن عباس في أن المنادي جبريل عليه السلام، مع وجود أقوال أخرى عن السلف في أن المنادي عيسى عليه السلام.

هذه هي القواعد كما وردت في النص مع دمج الأمثلة في مواضعها.

8- الاستدلال بالسياق في تفسير الآية: ومعنى ذلك أن ينظر المفسر إلى ما قبل الآية وما بعدها، حتى يتبين المعنى الذي ينسجم مع سياق الكلام.

فنجد قوله تعالى: ﴿فَكُلِى﴾ أي : كلي من الرطب.

وقوله: ﴿وَٱشۡرَبِى﴾ فلا بد أن يكون هناك ما تشرب منه، وهذا يقوي أن المراد بـ ﴿ سَرِيًّا ﴾ هو النهر الصغير أو الجدول؛ لأنه هو الذي يناسب قوله بعد ذلك: ﴿ وَٱشۡرَبِى ﴾

الآية : ٢٥ ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾

- وكانت مريم عليها السلام قد ألجأها المخاض إلى جذع النخلة، وكانت تستند إليه.

- هزّ جذع النخلة في تلك الحالة أمر فوق طاقة الإنسان، حتى في أقوى حالاته، فكيف بامرأة في لحظات الولادة.

- وفي ذلك إظهار لسنة عظيمة وهي الأخذ بالأسباب؛ فالله قادر أن يرزقها بلا سبب، لكنه أراد أن يُبذل ما يمكن فعله، ثم يأتي الفضل منه سبحانه.

- وفيه إكرام لمريم عليها السلام، إذ جعل الله الرزق يتنزل عليها عند هذا الفعل اليسير في صورته، العظيم في أثره.

- افعل ما تقدر عليه فمن هذه الآيات يُفهم أن أي سبب يمكن فعله لا يُستصغر، ولو بدا ضعيفًا، لأن أثره بيد الله لا بحجمه.

- جاء في المعنى نفسه الحث على الاستمرار في العمل ولو كان يسيرًا، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»

- فالمؤمن لا يُكلَّف بإصلاح الكون، وإنما ببذل ما يقدر عليه، والله يتكفل بالنتائج.

الآية : ٢٦ ﴿ فَكُلِى وَٱشۡرَبِى وَقَرِّى عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾

- أن النعم تأتي في وقت الشدة.

﴿ فَكُلِى وَٱشۡرَبِى ﴾

- رزق يناسب الحال، فالرطب والماء من أنفع الأغذية.

﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾

- أي : طمأنينة وسكون نفس، وهو أبلغ من مجرد الفرح وتمام السعادة والطمأنينة.

- ولهذا كان من دعاء المؤمنين:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)

- أي: ارزقنا من أزواجنا وذرياتنا، وتطمئن به قلوبنا، ويفرح به فؤادنا.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾

- نذرت لله صمتًا، أي: إمساكًا عن الكلام. وهذا محل اتفاق بين المفسرين.

الصوم لغة : الإمساك عن الشيء.

◆ وكان نذر الصمت جائزًا في شريعة مريم عليها السلام، أما في شريعة الإسلام فلا يُشرع التعبد بالصمت، بل يُنهى عن نذر الصمت.

رأى النبي ﷺ رجلًا يُدعى أبو إسرائيل، وكان قائمًا في الشمس أثناء خطبة الجمعة. فسأل عنه، فقيل: إنه نذر أن يصوم، وألا يتكلم، وأن يقف في الشمس، وألا يستظل. فقال ﷺ : «مروه فليتكلم، وليستظل، وليجلس، وليتم صومه» .

• ولم تُخبرهم بذلك قولًا، وإنما أشارت إليهم.

الآية: ٢٧ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾

- أي: جئتِ أمرًا عظيمًا منكرًا، شديدًا في نظرهم.
- قيل: إن مريم عليها السلام كانت جالسة على الأرض، وعيسى عليه السلام في حجرها، تنظر إليه، ولا تتكلم، وهي تسمع هذه الكلمات القاسية.
- عادت مريم عليها السلام إلى قومها وهي تحمل رضيعًا، بعد غياب طويل، وقد سبقها حديث الناس وظنونهم.
- وقد ثبَّتها الله سبحانه وتعالى، فكانت تعلم أنها ستسمع كلامًا يمس عرضها وشرفها، وأمرها الله بالصبر، وألا تدافع عن نفسها بكلمة، بل أن تكل الأمر إليه سبحانه.
- فلما واجهها قومها، أو نظروا إليها نظرات الريبة، أو وجَّهوا إليها كلام السوء، لم تزد على أن تشير إلى الرضيع، بيقين لا يتزعزع.

وهو اليقين الذي كان النبي ﷺ يسأل ربه إياه في دعائه:

« ومن اليقين ما تُهوِّن به علينا مصائب الدنيا »

- **فاليقين هو أن تعلم أن الله الذي ابتلاك أرحم بك من نفسك، ولن يضيعك، وسيجبر كسرك، ويمدك بالإيمان الذي يعينك على اجتياز كل بلاء.**

- **ولما اتُّهم يوسف عليه السلام قال: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾**

- **دفاعًا عن نفسه، أما مريم عليها السلام فقد امتثلت أمر ربها، فآثرت الصمت، ووكلت الدفاع عنها إلى الله، فتكلم عيسى عليه السلام في المهد وبرأها بأعظم براءة.**

- **إذا كانت مريم عليها السلام قد ثبتت في أعظم الابتلاءات، فاصبري على ما هو دون ذلك. لا تجعلي كلام الناس يصدك عن الحق، فالثبات على الطاعة واليقين بالله من أعظم أسباب الفوز. كوني مريم هذا الزمان.**

الآية: ٢٨ ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾

- **كيف يصدر منك هذا، وأبوك رجل صالح، وأمك امرأة عفيفة؟ وهذا من أشد أنواع التوبيخ؛ لأنهم لم يقتصروا على اتهامها، بل قرنوا ذلك بمقارنة بينها وبين والديها.**

كلمات موجعة للغاية.

- **فلو كان أحد ينجو من كلام الناس وسخريتهم، لكان الأنبياء أولى بذلك، لكنهم وُصفوا بالسحر، والجنون، والكذب، والضلال، ومريم عليها السلام اتُّهمت في شرفها، وهو أعظم ما تملكه المرأة.**

﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾

- **هو أخو موسى عليه السلام، وبينه وبين مريم أم عيسى عليهما السلام مئات السنين، لذلك ذكر العلماء عدة أقوال في تفسير الآية.**

- **القول الأول: أن مريم عليها السلام من ذرية هارون عليه السلام، وكان العرب ينسبون الإنسان إلى آبائه وأجداده، فيقال: يا أخا تميم، أو يا أخا مُضر، أي: يا من تنتسب إلى هذه القبيلة أو هذا الأصل.**

- **أي : يا من أنت من نسل هارون.**

- **القول الثاني: أن هارون رجل صالح من بني إسرائيل، كانت مريم تشبهه في العبادة والصلاح.**

- أي: يا شبيهة هارون في العبادة.

- القول الثالث: أن هارون كان أخاها من جهة الأب.

والقولان الثاني والثالث متقاربان: إذ يجعلان هارون رجلًا صالحًا من قومها، سواء كان أخاها حقيقة أو كان رجلًا صالحًا شُبهت به

والله تعالى أعلم بالصواب.

- القول الرابع: أن اسم هارون كان يُطلق عند بني إسرائيل على الصالحين؛ تيمُّنًا بهارون عليه السلام في الصلاح والعبادة، وهذا القول رجحه كثير من المفسرين.

ثبت أن المغيرة بن شعبة قدم إلى نجران، فسأله النصارى عن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾

وقالوا: كيف تكون مريم أخت هارون، وبينهما مئات السنين؟ فرجع إلى النبي ﷺ وسأله عن ذلك، فقال : « إنهم كانوا يُسمُّون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم »

الآية: ٢٩ ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾

- من شدة غضبهم، ظنوا أنها تستهزئ بهم، فقالوا: كيف نكلم رضيعًا؟!

الآية: ٣٠ ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾

عندها تكلم المسيح عليه السلام وهو طفل رضيع، فقال:

﴿ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾

- فكان أول ما نطق به نفي الألوهية عن نفسه، وإثبات العبودية لله.

﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾

- وهنا أسلوب بلاغي : فقد تعبّر العرب عن الأمر المستقبل الذي سيقع يقينًا بصيغة الماضي؛ تأكيدًا لتحقق وقوعه، فكأن الأمر قد وقع بالفعل لشدة تحقق وقوعه.

- ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (النحل: ١)

- المراد: سيأتي، ولكنه عبَّر عنه بالماضي ﴿أَتَىٰٓ﴾؛ تأكيدًا لتحقق وقوعه.

- وكذلك في وصف دخول أهل الجنة أو أهل النار، يأتي التعبير أحيانًا بصيغة الماضي، مع أن المقصود أمر مستقبل، لكنه واقع لا محالة.

﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾

- أي: سيجعلني نبيًا يقينًا.

- البطولة الحقيقية:

- ليست في القوة، أو الجمال، أو الشهرة، وإنما في التقوى، والبر، والعمل الصالح، وتعليم الخير.

ومن أعظم أمثلتها جليبيب رضي الله عنه، الذي قال فيه النبي ﷺ :

«هذا مني وأنا منه، اللهم إني قد رضيت عنه فارضَ عنه »

- معايير الناس تزول، أما الفوز الحقيقي فهو رضا الله.

الآية: ٣١ ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

وقد ذكر العلماء في معنى ﴿مُبَارَكًا﴾ عدة أقوال.

القول الأول: معلِّمًا للخير؛ فتكون بركة الإنسان في تعليم الناس الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح، والدلالة على الطاعة.

- من أراد أن يكون مباركًا، فليكن سببًا في هداية الناس، وتعليمهم، ونفعهم.

القول الثاني: نافعًا للناس.

وقيل: المبارك هو النافع، وكل إنسان يستطيع أن ينفع غيره بماله، أو بجاهه، أو بوقته، أو بخدمته، أو بكلمته الطيبة، أو بالسعي في مصالحهم.

- كن نافعًا حيثما كنت.

وقيل: إن المبارك بمعنى الثابت المستقر، وأصله من قول العرب: بركت الناقة، أي استقرت وثبتت.

فالمعنى: جعلني ثابتًا على دين الله، متمسكًا به.

وقيل: المبارك من البركة، وهي الزيادة.

- **أي :** جعلني في زيادة مستمرة من الخير والإيمان.

﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

- فالصلاة والزكاة من أعظم أركان الدين.

وقيل: المراد بالزكاة زكاة المال، **وقيل :** زكاة النفس، وكلا المعنيين صحيح.

﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

- دل على دوام الطاعة والثبات عليها.

الآية: ٣٢ ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾

- ورغم أن البر داخل في الخير كله، فقد خُصَّ بالذكر لعظيم منزلته.

فالوالدة لها حق عظيم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

« أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك »

- فلا ينفع التزام مع عقوق الوالدين؛ فإن العقوق من أعظم الذنوب .

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾

- إن التعبير بـ ﴿ شَقِيًّا ﴾ مناسب لحال عيسى عليه السلام؛ لأن بر الأم يتأكد أكثر عند غياب الأب.
- فالأم التي لا زوج لها يكون ولدها سندها بعد الله، فإذا قصر في حقها كان ذلك أشد عليها.

الآية: ٣٣ ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

- يحتاج الإنسان في هذه المواطن إلى أعظم أنواع الأمان: يوم الولادة، ويوم الموت والانتقال من الدنيا، ويوم البعث والقيام بين يدي الله.

- وقد قال الله في يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾

- أما في عيسى عليه السلام فقال: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ ﴾

- إن التعبير بـ السلام المعرَّف بـ(أل) أبلغ وأقوى.

◆ ردٌّ على اليهود والنصارى

- اشتملت كلمات عيسى عليه السلام على ردٍّ على طائفتين:

فقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ **ردٌّ على النصارى الذين غلوا فيه.**

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ **ردٌّ على اليهود الذين كذبوه، وظنوا أنه ليس على الحق.**

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.